تطور الدرس البلاغي في التراث العربي ومحاولات التجديد فيه

الاستاذ الدكتور
عهود حسين جبر
جامعة الكوفة ـ مركز دراسات الكوفة
ohoud.alhameedawi@uokufaedu.iq.

The development of the rhetorical lesson in the Arab heritage and attempts to renew it

Prof. Dr.
Ohoud Hussein Jabr
University of Kufa - Kufa Studies Center

الملخص:-

يحفل تاريخ البلاغة بمجموعة كبيرة من العلماء والمفكرين الافذاذ الذين كان لهم الفضل في بناء صرح هذا العلم الجليل، والمتتبع لتاريخ البلاغة العربية يكتشف جهود طائفة كبيرة منهم كانت لهم آثار بينة في تشكيل معالم هذا الفن الجميل ، وقد مرت مسيرة تكوين البلاغة في التراث اللغوي العربي عبر سلسلة طويلة تبدأ حلقاتها من اكتمال اللغة العربية، ثم تعددت هذه الحلقات وتوالت في أطوار مختلفة، وعصور متباينة ومرت بعوامل قوة وضعف إلى أن وقفت عند حدود واضحة ومعالم بارزة كما بينها السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" وهذا البحث هو محاولة متواضعة للكشف عن الجهود التي بذلها علماؤنا الاوائل في تطوير الدرس البلاغي وضبط علومه ومصطلحاته إلى جانب ذلك تتبع جهود العلماء المعاصرين في تجديد هذا العلم وتطويره من خلال ابحاثهم ومؤلفاتهم ومحاولة الكشف عن دورهم البارز في هذا المجال.

ويتناول البحث المراحل التاريخية التي مرت بها البلاغة العربية ومن ثم عرج البحث على محاولات التجديد في البلاغة العربية في هذا العصر والاسباب التي دعت إلى تجديد البلاغة ، ورصد الدراسات التي ركزت جهودها في قضية التجديد في البلاغة، والنظر في ما وصلت اليه من خطوات ، وبيان ما تضمنته هذه الخطوات وتحديد المسار الذي اتجهت اليه.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التطور، التجديد، أسرار البلاغة، تاريخ البلاغة.

Abstract:-

The history of rhetoric is full of a large group of outstanding scholars and thinkers who were credited with building this great science edifice. The follower of the history of Arabic rhetoric, discovers the efforts of a large group of them who had clear effects in shaping the features of this beautiful art. The process of forming rhetoric in the Arabic linguistic heritage has passed through a long series whose episodes begin with the completion of the Arabic language. Then these episodes multiplied and rolled in different phases, and various eras and passed through factors of strength and weakness till it stood up on clear limits and prominent features as shown by Al-Skaki in his book, 'key of sciences' 'Muftah al-Uloom'. This research is a modest attempt to discover the efforts made by our first scholars in developing the rhetorical lesson and control its sciences and terms. Besides this, to follow the efforts of the cotemporary scholars for renewing this science and developing it through their researches and writings and the attempt to discover their prominent role in this field.

There is no doubt, that every era has an intellectual and cultural color imprinted with its own character which distinguishes it from other previous and later eras. Some of our thinkers and scholars in the modern era used to direct blame and shortcomings from previous eras describing them unsystematic in writing, and sometimes as complex and ambiguous. The science that was mostly subjected to criticism and defamation in its scholars is the science of rhetoric especially, in its late eras.

Keywords: rhetoric, development, renewing ,secrets of rhetoric.

المقدمة:ـ

يحفل تاريخ البلاغة بمجموعة كبيرة من العلماء والمفكرين الافذاذ الذين كان لهم الفضل في بناء صرح هذا العلم الجليل، والمتتبع لتاريخ البلاغة العربية يكتشف عن جهود طائفة كبيرة منهم كانت لهم آثار بينة في تشكيل معالم هذا الفن الجميل ، وقد مرت مسيرة تكوين البلاغة في التراث اللغوي العربي عبر سلسلة طويلة تبدأ حلقاتها من اكتمال اللغة العربية، ثم تعددت هذه الحلقات وتوالت في أطوار مختلفة، وعصور متباينة ومرت بعوامل قوة وضعف إلى أن وقفت عند حدود واضحة ومعالم بارزة كما بينها السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" وهذا البحث هو محاولة متواضعة للكشف عن الجهود التي بذلها علماؤنا الاوائل في تطوير الدرس البلاغي و ضبط علومه ومصطلحاته إلى جانب ذلك تتبع جهود العلماء المعاصرين في تجديد هذا العلم وتطويره من خلال ابحاثهم ومؤلفاتهم ومحاولة الكشف عن دورهم البارز في هذا المجال.

ومما لاشك فيه ان لكل عصر لونا فكريا وثقافيا يطبع بطابعه، وهو ما يميزه من العصور الاخرى السابقة واللاحقة، وقد درج بعض مفكرينا وعلمائنا في العصر الحديث على توجيه اللوم والتقصير لعلماء من العصور السابقة ووصفوهم بعدم المنهجية في التأليف، وأحيانا بالتعقيد والغموض، ومن أكثر العلوم التي تعرضت للنقد والتجريح بعلمائها (علم البلاغة) ولاسيما في عصوره المتأخرة، وظهرت أصوات من هنا وهناك لتجديد البلاغة وظهرت مقالات وكتب كثيرة بعناوين مختلفة تتماشى مع هذه الدعوات منها على سبيل المثال لا الحصر:

المقالات والبحوث التي نشرها أحمد أمين في المجلات العربية و أحمد الشايب في كتابه الأسلوب إذ وضع منهجا كاملا لبلاغة عربية جديدة وأحمد مطلوب عن طريق مقالاته في تيسير البلاغة العربية وفي كتبه الأخرى وسلامة موسى، في كتابه البلاغة العصرية واللغة العربية، وكانت دعوته هجوما على كلّ القيم اللغوية والبلاغية القديمة التي خلفّتها الثقافة العربية، ودعا دعوة صريحة إلى احتضان مظاهر الحداثة الغربية مغلفة بعناوين التجديد والتحديث و بكري شيخ أمين، في كتابه البلاغة العربية في ثوبها الجديد ومصطفى الصاوي الجويني في كتابه البلاغة العربية تأصيل وتجديد.

ويتناول البحث المراحل التاريخية التي مرت بها البلاغة العربية ومن ثم عرج البحث

على محاولات التجديد في البلاغة العربية في هذا العصر والاسباب التي دعت إلى تجديد البلاغة ، ورصد الدراسات التي ركزت جهودها في قضية التجديد في البلاغة، والنظر في ما وصلت اليه من خطوات ، وبيان ما تضمنته هذه الخطوات وتحديد المسار الذي اتجهت اليه.

المراحل التاريخية للبلاغة العربية:

إنّ المتتبع لتاريخ البلاغة العربية يكشف عن جهود طائفة كبيرة من العلماء والمفكرين القدماء الذين كان لهم الفضل في بناء صرح هذا العلم الجليل وكانت لهم إسهامات بيّنة في تشكيل معالم هذا الفن ، وقد مرّ تاريخ تكوين البلاغة بمراحل طويلة وعصور متباينة ومرت بعوامل قوة وضعف، ويُجمع الدارسون على أنّ علم البلاغة شهد أربع مراحل في أثناء مسيرة تشكيله، إذ كانت مرحلة النشأة التي احتضنت بذور البلاغة في منابتها الأصيلة، فمرحلة النّمو التي شهدت الدّراسات البلاغية المنهجية، وكان الهدف الأساس منها هو دراسة الاعجاز القرآني وادراكه وكان أغلب العلماء يحرصون في بداية كتبهم أن يبينوا ان هذا العلم جليل القدر عظيم المنزلة لما يترتب عليه من فهم اعجاز القرآن الكريم(١).

ثمّ مرحلة النّضج الّتي تبلورت فيها علوم البلاغة الثلاثة، وأخيرا مرحلة الاكتمال الّتي اعتنت بتحديد المصطلحات، وصياغة القواعد النهائية لهذا العلم(٢).

وقد مرت البلاغة العربية بمراحل متعددة قبل ان تصل إلى مرحلة النضج، وقد استغرقت هذه المسيرة قرون عدة، وقد بدأت بالمرحلة الذوقية، إذ كان الشاعر يلقي البيت أو البيتين أو قصيدة أكملها وينال استحسان الناس أو استهجانهم معتمدين على اذواقهم وسليقتهم التي فطروا عليها، (وكانت العرب امة مشهورة بالبيان والبلاغة وفصاحة القول، وكان العرب بفطرتهم واذواقهم المرهفة يميزون بين اسلوب واسلوب ولفظة ولفظة، وكان النابغة في العصر الجاهلي حكم الشعراء، وكانت تضرب له في سوق عكاظ قبة حمراء، ويجتمع اليه الشعراء فينشدونه ويتحاكمون اليه)(٣).

وقد ذكر ابو حيان التوحيدي كلاما نقله عن ابن المقفع حول المعرفة الفطرية عند العرب ومن ضمنها فطرية الإجادة في الكلام (حتى إن الرجل منهم وهو في فج من الأرض يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئا، ويسرف في ذم المساوئ فلا يقصر، ليس لهم كلام إلا وهم يتحاضون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال وابتناء المحامد، كل واحد منهم

يصيب ذلك بعقله، ويستخرجه بفطنته وفكرته فلا يتعلمون ولا يتأدبون، بل نحائز مؤدبة وعقول عارفة " فأغراض الكلام ومقاصده يبلغ فيها العربي الكفاية والنهاية فلا يقصر)[٤].

ولم يكن العرب بحاجة إلى علم البلاغة (لأنّهم جُبلوا على حبّ الفصاحة والبيان، فهم يخضعون صناعة الكلام لنقد أوليّ، ولكنّه في أغلب الأحوال سديد لأنّهم كانوا يعوّلون فيه على سلامة الذّوق)[٥].

وكانت هذه الملاحظات النقدية للشعر في العصر الجاهلي التي كان يحكمها الذوق والسليقة هي الاساس لعلم البلاغة فيما بعد[٦]، و بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية واختلاط العرب بغيرهم من الامم الذي ادى إلى ضعف السليقة وانحرافها في نفوس العرب لفساد الالسن، (أخذ النقاد والادباء والكتاب في القرن الثاني و ما بعده من القرون يحاولون فهم أسرار البيان ووضع اصول موجزة تحدد آراءهم في جمال الاسلوب)[٧].

ومع اتساع مدارك العلماء ورقيّ الحياة العقلية في العصر العباسي، كان هناك حاجة ملحة إلى مباحثهم في مجالات متنوعة وكثيرة، ومنها البلاغة (وقد نشطت بيئات مختلفة في تنمية مباحثها ووضع اصولها ، منها المحافظ المسرف في محافظته، ومنها المجدد المسرف في تنمية تجديده)[٨].

(واتجهت طائفة من العلماء واللغويين إلى العناية بالبلاغة العربية من خلال دراسة الأدب وفنونه بعامة، ومنهم وعبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ)، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، وأبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، وقد دفعوا بالدرس البلاغي نحو البراعة والتميز، وأما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فيشهد له الباحثون بأن البلاغة قد استقرت أركانها، ورسخت دعائمها، ووصلت إلى ذروة نضجها وازدهارها على يديه، وبخاصة في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، إذ تكاملت فيهما المباحث البلاغية، واستقرت للبلاغة العربية ملامحها الأخيرة، وبلغت أقصى ما قدر لها أن تبلغه من نضج واكتمال على امتداد تاريخها الطويل)[٩].

وعبد القاهر الجرجاني مع فضله في مباحث البلاغة واتساعها ونضجها على يديه ترك الباب مفتوحا لمن يأتي من بعده ووجد ان للبلاغة من الاتساع ما لا يستطيع باحث بمفرده ان يلم بأطرافها (لو أمعنّا النظر فيما تركه لنا الإمام عبد القاهر من تراثٍ بلاغي، لوجدناه قد أفسَحَ

المجال للتجديد في البحث البلاغي، وترَك الباب مفتوحًا أمام كلِّ باحث مجدِّد مخلِص، وكان حريصًا على أن يذكر في أكثر من موضع أنَّ هذا الجهد الكبير الذي بذَله لا يعدُّ الكلمة الأخيرة، وأنَّه ليس في استطاعة أيِّ باحثٍ - مهما أُوتِي من حولٍ وطوْلٍ - أن يستقصِي مسائل الفن البلاغي، أو أنْ يدَّعي لنفسه العلمَ والإحاطة بذلك، أو أنْ يسدَّ بابَ الاجتهاد)[١٠].

وقد كانت نشأة البلاغة في بدايتها عربية خالصة، ولكن الامور اختلفت بعد مرور الزمن فكان الاختلاط الكبير بين المجتمع العربي والمجتمعات الاخرى، وكان من اهم وسائل الاتصال التي اثرت بشكل مباشر في هذا الموضوع حركة الترجمة التي نشطت في القرن الثالث و ما بعده من القرون.

ويقول باحث محدث: (يستطيع الباحث ان يقرر مطمئنا أن نشأة البلاغة كانت عربية، لكنه لا يستطيع ان ينكر التأثير الاجنبي الذي قد اتصل بها فأخذ يؤثر في تطورها ويسيطر عليها ويبعدها عن الطريقة الادبية العربية، حتى اذا اشتد سلطان هذا العنصر صارت فلسفة خالصة على ايدي السكاكي واصحابه)[١١].

(إن علماء البلاغة في العصر العباسي انقسموا إلى قسمين، قسم قدّس القديم ورأى فيه المثال الذي يحتذى، وهؤلاء من كانت توجهاتهم لغوية على الرغم من تعاطيهم لموضوع البلاغة، أما بقية العلماء من البلاغيين فلم يجدوا فرقا بين القدماء والمحدثين وكان معيارهم جودة الشعر وابداع الكاتب بغض النظر عن انتمائه إلى زمن معين أو بيئة محددة ومن هؤلاء (ابن المعتز في كتابه البديع الذي استشهد بشعر العصر الجاهلي والاسلامي إلى جانب اشعار معاصريه)[١٢].

ويمكن القول إنّ البلاغة بدأت في طريقها الصحيح ثم انحرفت عن مسارها، وكان معيار الحكم في بداية تأسيسها على النص و جودته وابداع كاتبه بغض النظر عن انتمائه لعصر أو بيئة معينة، ناهيك عن عدم اكتراث الناقد بالقواعد والمعايير الثابتة التي تعج بها كتب البلاغة فيما بعد، فالاهم النص الادبي وليس القواعد والمعايير، فالمعايير تستخرج من النصوص وليس العكس، هذا ما درج عليه البلاغيون الاوائل ثم تغيرت الامور بعد ان قطعت البلاغة شوطا بعيدا في التأليف والتصنيف فاصبح الشعراء يصنعون الشعر على حتى تلائم القواعد والمعايير الجافة التي خطتها ايدي العلماء في كتب البلاغة في عصورها

المتأخرة، وتأسيسا على ما سبق نستطيع ان نقول ان البلاغة قد وصلت إلى مرحلة النضج على يد عبد القاهر الجرجاني ثم بدأت بالانحدار على يد السكاكي ومن سار على دربه من المؤلفين والعلماء.

وقد كان السؤال الملح الذي يطرح دائما على ساحة البحث في تجديد البلاغة هل التراث البلاغي العربي قاصر في احتواء الإبداع الحديث حتى أضحى تجديد البلاغة أمرا ملحا ، نعم البلاغة بها حاجة إلى التجديد والتغيير لتكون ملائمة لعصرنا الحديث في أدبه وعلومه، فالبلاغة الجديدة تعبر عن حاجة العصر إلى لغة اتصالية جديدة(١٣).

وفي الحقيقة (ان لهذه الدعوات جذور قديمة على يد علمائنا القدامى الذين كانوا يجاهدون من اجل التخفيف من وطأة التيار النقدي التقليدي المحافظ الذي يقدس القديم وينبذ الجديد، وخلاصة ما يرون ان الابداع ليس بحكر على زمن دون آخر ولا على بلد من دون آخر، وقد كان التجديد والتطوير في علوم اللغة والبلاغة أمل القدامى من العلماء والباحثين العرب)(١٤).

وفي القرن الثالث الهجري دعا ابن قتيبة إلى التجديد في إذ قال في كتابه الشعر والشعراء: (إنّ الله لمَ يقَصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعلَ ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كلّ دهر، وجعلَ كلّ قديم حديثا في عصره)(١٥).

أسباب تجديد البلاغة العربية:

إنّ لكل عصر مفاهيمه وثقافته وأدبه، ومما لاشك فيه ان الزمن كفيل بتغيير الاشياء وتبدلها، فكانت الحاجة إلى تبديل وتطوير مفاهيم ثقافية ونقدية من تراثنا العربي، والتطوير والتجديد لا يعني ترك التراث برمته والاتجاه نحو النظريات والثقافات الجديدة، بل لابد من الرجوع إلى التراث واستيعابه والإفادة منه وتجديد ما يحتاج منه إلى تجديد، بمعنى آخر نحاول ان نزاوج بين الجديد والقديم ونخرج بنتائج تساعد على فهم ثقافتنا وأدبنا الحديث.

وقد ذكرنا بان حركة نشطة قد اجتاحت الساحة الادبية والنقدية تدعو إلى التجديد، وكان السبب المباشر في ظهور هذه الحركة هو اطلاع كثير من علمائنا ونقادنا على النظريات والثقافات الغربية التي اثرت بشكل عميق في عقليتهم.

وقد اختلفت اتجاهات هؤلاء الادباء والنقاد في اسلوب التجديد وطرقه فمنها دعوات اشارت إلى تيسير البلاغة وتجديدها فترجع إلى ما لاحظه هؤلاء من التعقيد والغموض الذي عرفته بعض مسائلها ومصطلحاتها، وكذلك ما اصطبغت به بعض البحوث البلاغية التي وضعها المتكلمّون والأصوليون من المنطق، وكذلك ما رأوه من تعقيد لعلومها بعد عبد القاهر الجرجاني.

وقد ارتأى كثير من العلماء في عصرنا الحديث في مجال البلاغة والنقد في حاجة البلاغة إلى التجدد والتغيير ويجب تخليصها من العلوم الاخرى التي اثقلتها كالمنطق وعلم الكلام والفلسفة، وكان الهدف الاول لبعض هؤلاء العلماء تيسير البلاغة وتسهيلها على الدارسين والطلاب ومن أبرز هؤلاء(١٦).

ومن الكتاب الذين ألفوا في هذا المجال علي الجارم ومصطفى أمين الذين الفا كتابا في (سنة ٩٣٩م) بعنوان البلاغة الواضحة وهو كتاب تربوي تفنن مؤلفاه في اختيار الشواهد البلاغية من التراث الأدبي العربي، وعرضَا فيه البلاغة عرضًا ميسرًا، وبسطا قواعدها وطريقة تحليلها، وقلّلا من كثرة تقسيمات فنونها.

والسؤال المطروح هل حقق الذين يدعون إلى تجديد البلاغة دعواتهم في تجديد البلاغة واضافوا اليها مالم يضفه القدماء؟، أم صححوا ما كانوا يعتقدون أنه بالمسار الخطأ في درب البلاغة ؟. في حقيقة الامر لقد غاب التجديد عن المحاولات المدروسة بسبب انعدام العمل بتحديد مفهوم للتجديد الذي يؤسس للتصور السليم في الممارسة التجديدية، وانعدام الاهتمام بتحصيل الأدوات المعرفية الكفيلة بتقوية القديم لاستمرار حياته، وتشذيب فروع الدخيل من كل تعميم، ثم انعدام العمل بالمنهج التكاملي الذي يخدم الممارسة التجديدية ويحفظ التوازن للعلاقات بين القديم والحديث(١٧).

وإذا كان هناك شبه اجماع من المحدثين بان السكاكي هو السبب في تعقيد البلاغة فان هناك بعض الاصوات تخالف ذلك وترى غير، ومنهم اصحاب النظرية اللسانية فاللسانيون والمناطقة المحدثون الذين يعيرون السكاكي اهتماما خاصا ويرون أنّ كتابه "مفتاح العلوم" يشكل قفزة نوعية في التأليف اللساني العربي، إذ أورد فيه علم الصرف قبل علم النحو مخالفا بذلك ما كان سائدا من قبل(١٨).

(وربما كان من أخطر ما الصق بالبلاغة هو طابعها المعياري، وهي تهمة قد تكون صادقة في جانب، وغير صادقة في جانب آخر، يرجع صدقها إلى الكم الكبير من القواعد والقوانين التي قدمها البلاغيون شروطا أولية لإنتاج القول البليغ، أما عدم صدقها فيأتي من أن مجموعة القوانين لم تأت من تصور تجريدي، وإنما كانت نتيجة لمتابعة وصفية لمجموعة من النصوص الادبية)[١٩].

وفي الحقيقة أنَّ الشَّكوى من جَفاف البلاغة وعلومها، واصطباغها بالفلسفة والمنطق فيه، شكوى جاءت في كثير من كُتب المُحدثين، الذين كتَبُوا في تاريخ البلاغة وعلومها، أو دعوا إلى تجديدها، وكذلك وردتْ في مؤلفات المتأخِّرين.

وفي الحقيقة أنّالسكاكي انما يعبر عن عصره، ومما لاشك فيه أنّ عصر السكاكي ومن كتب على شاكلته، كان عصر البديع والتصنع، فكان من الطبيعي ان يؤلف السكاكي كتابا هو(مفتاح العلوم) الذي هو ثمرة لما كان سائدا من بديع وتصنع في أدب، إلى جانب ذلك ما كان من تأثير لثقافته في المنطق، إذ تركت بظلالها على مباحثه البلاغة، والذي يعد كذلك ثقافة تلقاها مما كان سائدا في عصره هو لم يفسد البلاغة وإنما الذي أفسدها ذوق العصر وأدبه وثقافته.

وجاء بعد السكاكي القزويني الذي وضع كتاب الايضاح في شرح المفتاح وواضح من عنوانه انه شرح مفتاح العلوم الجزء الخاص بالبلاغة وهو الذي دارت حوله معظم الدراسات البلاغية إلى يومنا هذا.

الدراسات العربية واتجاهاتها في تجديد البلاغة العربية:

ذكرنا سابقا أنّ دعوات كثيرة ظهرت على الساحة الادبية والنقدية تدعو إلى تخليص البلاغة من قواعدها الجافة التي اثقلتها و(يرى بعض الباحثين العرب أن البلاغة العربية انتهى عصرها الذهبي الذي عرفته في خلال القرن الخامس الهجري مع أعمال عبد القاهر الجرجاني، وعرفت بعده تعثرا وجمودا إذ أصبحت مع السكاكي (٦٢٦هـ)، والقزويني (٧٣٩هـ) قواعد جافة بسبب إقحام مسائل الفلسفة والمنطق فيها، ولذلك كثرت الدعوات في العصر الحديث إلى إعادة النظر في التراث البلاغي العربي إذ نادى بعض العلماء إلى تجديد البلاغة العربية، ودعا آخرون إلى تطويرها، ودعا فريق آخر إلى تيسيرها)[٢٠].

واتصال العلماء والنقاد في عصرنا الحاضر بالغرب واطلاعهم على علومها الحديثة وبخاصة النظريات الحديثة الخاصة باللغة والنقد ومنها النظريات اللسانية ادى إلى الدعوة إلى دراسة البلاغة على وفق هذه النظريات (ومن الداعين إلى تحديث البلاغة العربية أمين الخولي وأحمد الشايب ومصطفى صادق الرافعي)[٢١].

ويرى باحث أنّ (البلاغة العربية جديرة بأن تكون موضوعا للدراسة والتحليل والتأويل في ضوء المناهج الحديثة، ويظل من المشروع الطموح إلى استثمار انجازات البلاغة القديمة والاستفادة من المعرفة اللسانية وغيرها من المعارف الحديثة في توسيع أفق البلاغة ومفهومها واجراءاتها وربطها بعلوم العصر والمجتمع[٢٢].

والسعي إلى تخليص البلاغة من تلك الزيادات والحواشي ومن الفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم، والاقتصار على المستوى البلاغي والفنيّ فحسب، ولم يؤثر عن أحد أنه سعى لتخليص البلاغة من القواعد والتعريفات، إدراكا من الباحثين والمعلمين لأهمية القاعدة والذوق معا[٢٣].

وكان لأحمد أمين خطوات كبيرة وجريئة باتجاه تجديد البلاغة عن طريق مقالاته التي نشرها في المجلات العربية التي يدعو فيها إلى ترك القديم والالتفات إلى البلاغة التي يكون شاهدها من العصر الحديث، وقد كان أحمد أمين متأثرا بصنيع الاوربيين في هذا الموضوع (وقد ظهر لأحمد أمين مقال بعنوان (حاجة العلوم العربية إلى التجديد) بمجلة مجمع اللغة العربية في دمشق في سنة ١٩٢٧م لا يعتد في ببلاغة أرسطو، ولا ببلاغة عبد القاهر الجرجاني، ولا ببلاغة السكاكي وإنما يرهن في تجديده على الشاهد البلاغي من المحيط العصري[٢٤].

وكان لظهور الأستاذ أمين الخولي (ت١٩٦٦م) في حقل التدريس في الجامعة المصرية أثرا محمودا في الدراسات القرآنية والبلاغية في أواخر الربع الأول من القرن العشرين، فقد أحدث انقلابا في المفاهيم التدريسية، وكان له إسهام كبير في نقد المناهج، وتجديد أساليب التفسير القرآني والبحث البلاغي، وكان الدرس اللغوي هم الخولي الأساسي والحلبة الأولى لنضاله من أجل الاجتهاد والتجديد، وتأثيم التقليد. طفقت قال الشيخ أمين الخولي عن منهجه الجديد في البلاغة العربية: " أتعرف على معالم الدراسة الفنية الحديثة عامة، والأدبي منها خاصة، وأرجع إلى كل ما يجدي في ذلك، من عمل الغربيين، وكتبهم.

وأوازن بينه وبين صنيع أسلافنا، وأبناء عصرنا في هذا كله. وكانت نظرتي إلى القديم - تلك النظرة غير اليائسة - دافعة إلى التأمل الناقد فيه، وإلى العناية بتاريخ هذه البلاغة، أسأله عن خطوات سيرها، ومتحرجات طريقها. أستعين بذلك على تبين عقدها، وتفهم مشكلاتها، ومعرفة أوجه الحاجة إلى الإصلاح فيها. وكنت أقابل القديم بالجديد، فأنقد القديم، وأنفي غثه، وأضم سمينه إلى صالح جديد. لذا قاربت أن أفرغ من النظر في القديم، بعدما ضممت خياره إلى الجديد، فألفت منها نسقاً كاملاً،[٢٥].

ويرى النقاد أن الخولي خطا في هذا الكتاب بالبلاغة العربية خطوة تالية لخطوات السابقين، فقد درس الصلة بين البلاغة والفنون والجمالية الأخرى، ودعا إلى تنسيق العناصر الأدبية تنسيقاً يؤلف منها مجموعة متحدة متماسكة، وركز في إقامة الدرس على أساس وجداني ذوقي، لا يعتمد على التحديد المنطقي بل يهدف إلى التنبيه الوجداني الواعي إلى تذوق الأثر الأدبي بعيداً عن التلقين والالتزام، ودعا إلى النظر البلاغي للأثر الأدبي بوصفه كلاً متصلاً لا جملاً تتوالى، وجرت بينه وبين والدكتور على العماري سجالات علمية وفكرية حول البلاغة العربية على صفحات مجلة الرسالة التي أسسها ورأس تحريرها الأديب أحمد حسن الزيات بين سنتي ١٩٣٣م و١٩٥٣م، ثم انضم إلى المعركة آخرون، وكان لتلك السجالات الأثر الطيب على تطور البلاغة وعلوم العربية[٢٦].

ويرى الدكتور احمد مطلوب أنّ اول من حمل لواء التجديد في البلاغة الأزهر على يد الشيخ محمد عبده الذي احيا التراث البلاغيّ اذ ادخل تدريس اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز في منهجه لتدريس البلاغة لطلابه[٢٧].

وفي الحقيقة ان صنيع الشيخ محمد عبدة لا يعدّ من باب التجديد بأي حال من الاحوال وإنما هو احياء للتراث لا أكثر ولا أقل.

اذن فما المقصود بتجديد البلاغة ؟ هل هو القاء القديم والبدء من جديد، أم ان التطوير والتجديد يستلزم وجود القديم والقيام بتطويره وتجديده.

وقد ذكرنا في الصفحات السابقة انّ لكل عصر لغته وأدبه وصوره الشعرية وأخيلته والتي يعبر فيها الادباء بصورة دقيقة ومفصلة عن بيئتهم التي يعيشون فيها، فالشعراء يمثلون العصور التي ينتمون اليها، باستثناء من يقلد السابقين من الشعراء والادباء وهذه القضية

اثيرت قديما في موضوع الوقوف على الاطلال، وغيره من الموضوعات، وهذا يجرنا للحديث عن البلاغة وكيف يجب عليها ان تتلون بالعصر الذي تنتمي اليه، فالبلاغة الجديدة اذن تعبر عن حاجة العصر إلى لغة اتصالية جديدة.

ونظرا لتشعب البلاغة وسعتها سأمر على موضوع الصور الاستعارية الجديدة وكيف كانت بها حاجة لبلاغة متجددة تتلاءم مع هذه الصور الجديدة.

والواقع انّ الاستعارة في الشعر العربي الحديث، لم تعدْ ظاهرة بسيطةً، وانّما تغيّرتْ تغيّراً كبيراً، وقد حفل الشعر المعاصر بصور شتّى لا تتكئ على المشابهات التقليدية قد كان الشعراء المعاصرون قد رفدوا الشعر الحديث بينبوع من الاستعارات المبتكرة

وقد اختلفت النظرة المعاصرة للاستعارة وتجاوزت الاطار الذي وضعها فيه القدماء فهي ليست نقلاً أو ادعاءً، بل ابداع جديد في اللغة[٢٨].

واختلفتْ نظرة النقاد المعاصرين إلى الاستعارة عن مفهومها القديم وهذا أمر طبيعي ناتج من دون شك عن التطور الثقافي والمعرفي وتغيّر المفاهيم من عصر إلى آخر، والاستعارة من وجهة النظر الحديثة لا تقتصر على المجال الادبي فحسب، بل تدخل في مختلف مجالات المعرفة الانسانية[٢٩].

وقد أولع نقادنا القدماء بالتفريع والتقنين في موضوع الاستعارة فقسموها على أنواع كثيرة، وهذا الصنيع هو الذي دفع البلاغين المحدثين إلى الدعوة إلى اعادة الحياة إلى البلاغة وتخليصها من ركام التعقيدات التي أثقلت كاهلها ونفّرت الدارسين منها.

وقد قطعتْ البلاغة الغربية اشواطاً كبيرة في فهم الاستعارة واظهرت وجها جديدا لها مستبدلة النظرية التبادلية وهي ـ نقل اللفظ من بيئة إلى أخرى ـ إلى النظرة التفاعلية التي لا تجزئ الصورة الاستعارية وانما تنظر إلى الناتج النهائي الذي أفرزه التفاعل بين طرفي الاستعارة ليولّد طرفاً ثالثاً له القدرة على الايحاء بمعنى جديد[٣٠].

الخاتمة:

ـ يبدو ان دعاة التجديد قد بالغوا في دعواتهم التجديدية في عصرنا الحديث وبتصوير الجمود الذي طبع البلاغة في عصورها المتأخرة، وهذه المبالغة قد اسهمت بشكل

كبير في الخلط بين موضوع التجديد واستقبال العلوم الحديثة التي اطلع عليها العلماء في مجال النقد والبلاغة في عصرنا الحديث، وهذا الربط بين التراث البلاغي ومحاولة ربطه بالنظريات الحديثة في الممارسة التجديدية ادى إلى نتائج ضعيفة في أغلب الاحيان.

- إن لكل عصر سماته وميزاته وأدبه الذي يعبر عن أبناء عصره وهذا الادب له آفاق ومخيلة خاصة تمثل مشاعره واحاسيسه.

- لم تكن البلاغة في عصورها المختلفة بمنأى عن تأثير الثقافة الدخيلة في عصورها القديمة والمعاصرة .

- كانت الاصوات الداعية إلى التجديد تفتقد إلى الفهم الدقيق لمفهوم التجديد، وتفتقد ايضا الادوات المعرفية والعلمية للممارسة التجديدية .

- إن الهدف من تجديد البلاغة هو من اجل ان تلائم عصرنا الحديث في أدبه وعلومه.

- ومن الامور المهمة في المسيرة البلاغية والنقدية العربية، وهي ان كل عالم يأتي ينظر فيما كتبه الاسبقون قبله فيضيف أو يطور أو يعدّل.، ومن ذلك كتاب السكاكي الذي كان محورا للمؤلفات التي جاءت من بعده

- ان موضوع التجديد بحاجة إلى اعادة النظر في مباحث البلاغة جملة وتفصيلا، للأخذ بتصور شامل يجمع بين مفرداتها من ناحية، وايجاد تفسير عميق لتحولاتها الظاهرة والعميقة من ناحية أخرى.

- عند قيام البلاغيين في عصرنا الحديث بتطبيق دعواهم إلى تجديد البلاغة وتغييرها من خلال اعتمادهم على مباحث بلاغية دون غيرها، وكان الهدف من هذا الصنيع تيسير هذه المباحث وتبسيطها على الباحثين والدارسين، وقد عانى هذا الجهد الذي بذل من نقص وخلل كبير لافتقاده الشمولية في التطبيق.

- إنّ السكاكي يعد من أشهر العلماء في تاريخ البلاغة العربية وقد تميز بقراءته الخاصة للبلاغة العربية، فجهوده لا تقل أهمية عن كبار علماء البلاغة أمثال عبد القاهر الجرجاني، والجاحظ، وابن المعتز.

ـ وتكاد الاصوات التي ارتفعت إلى تجديد البلاغة تتفق على تشذيبها من علوم المنطق والفلسفة التي الحقت بها الضرر وحرفتها عن مسيرها الصحيح، ثم يختلف هؤلاء الدعاة بعد ذلك في الطريقة التي يسلكونها في سبيل التجديد.

هوامش البحث

(١) ينظر التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث (رسالة دكتوراه):٤٩

(٢) ينظر البلاغة تطور وتاريخ ٩ ـ ١٣.

(٣)البلاغة بين التقليد والتجديد٣٠ .

(٤)الإمتاع والمؤانسة:٤٧.

(٥)البلاغة في أمم الحضارة: ٢٩

(٦)ينظر الاسلوب: ١٤

(٧) البلاغة العربية بين التقليد والتجديد: ٣.

(٨)البلاغة تطور وتاريخ: ٥

(٩) ينظر المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ٢٤٨

(١٠) ينظر التجديد في البلاغة في العصر الحديث:٦٠

(١١) البلاغة العربية في دور نشأتها : ٥٢

(١٢) ينظر البلاغة العربية قراءة اخرى: ٢٥

(١٣) ينظر محاولات تجديد لبلاغة في العصر الحديث (بحث): ٥٤

(١٤)التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث (رسالة دكتوراه):٥٠

(١٥) الشعر والشعراء : ٦

(١٦) ينظر في علوم البلاغة التجديد في العصر الحديث: ٤٣

(١٧) محاولات تجديد البلاغة العربية في العصر الحديث: ٤٥

(١٨) ينظر اللسان العربي وقضايا العصر٣٥

(١٩) البلاغة العربية قراءة اخرى:٢١ .

(٢٠) قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية (بحث):١٠٧

(٢١) تكوين البلاغة قراءة جديدة... ومنهج مقترح : ٤٢

(٢٢) ينظر البلاغة العربية مقاربة نسقية بنيوية :٦.

(٢٣) ينظر: القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي،: ١٩٤
(٢٤) ينظر التجديد في البلاغة في العصر الحديث:٦٠
(٢٥) كيف نقرأ بلاغتنا: ٢٧
(٢٦) قراءة في دعوات تجديد البلاغة١٠٤:٠٠.
(٢٧) اتجاهات البلاغة العربية احمد مطلوب:١٨٠
(٢٨) الاستعارة الحية:١٨.
(٢٩) المصدر نفسه:٣٤.
(٣٠) الاستعارة الحية ::٣٤.

قائمة المصادر والمراجع

ـ الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

- الاستعارة الحية- بول ريكور- ترجمة د. محمد الولي- دار الكتاب الجديد - بيروت لبنان-ط١- ٢٠١٦م.

ـ الاسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.

ـ البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٢، ١٩٦٥م.

ـ البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف، دار الجيل بيروت،ط١٩٩٢،١م.

ـ البلاغة في أمم الحضارة، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، ١٩٩٩م.

ـ البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين ،دار العلم للملايين ـ بيروت،ط١، ١٩٨٢م.

ـ البلاغة العربية في دور نشأتها، سيد نوفل، مكتبة النهضة، ط، ١٩٤٨م

ـ البلاغة العربية ـ قراءة أخرى، د محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشرـ دار نوبار للطباعة ـ القاهرة ـ ط٢، ٢٠٠٧م.

ـ البلاغة العربية ـ مقاربة نسقية بنيوية، د. شكري الطوانسى، مكتبة الآداب ـ القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

ـ تكوين البلاغة ـ قراءة جديدة...ومنهج مقترح، علي عبدالله الفرج، دار أطياف للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٥م.

ـ الشعراء والشعراء، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١٩٩٧،٦م

ـ كيف نقرأ بلاغتنا، محمد بركات، دار وائل، عمان، الأردن،ط١١٩٩٩ م.

ـ اللسان العربي وقضايا العصر، عمار ساسي، دار المعارف ـ مصر، البليدة، د ت،

ـ المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

ـ مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبط وتعليق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

الدوريات:

ـ التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، منير محمد الندا، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة.د ـ ت

ـ القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي، مجلة الجامعة الإسلامية (غزة)، المجلد السابع، العدد الأول، يناير ١٩٩٩م.

ـ قراءة في دعوات تجديد البلاغة.، د. الشارف لطروش، الجزائر . جامعة التراث، مجلة حوليات العربية العدد ١٦، سنة ٢٠١٦ م.

ـ محاولات تجديد البلاغة العربية في العصر الحديث، عبدالله مساوي، رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى ـ السعودية،، ٢٠٠٣م.